الدرس السابع عشر

أساليب الكتاب والسنة في إثبات اليوم الآخر

obeikandl.com

obeikandl.com

أساليب إثبات اليوم الآخر

لإثبات إمكانية عودة الحياة إلى الأبدان يوم القيامة بعد أن تفارقها في الدنيا ستة أساليب ورد الشرع بها وهي: الخبر الصادق، النشأة الأولى، النوم واليقظة، قياس الأدنى، قياس المطابقة، قياس الأولى.

الأسلوب الأول: ـ الخبر الصادق: ـ

ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة بيان لصور عادت فيها الحياة إلى من مات من بشر وحيوان وطير، من هذه الصور: ـ

١ـ قتيل بني إسرائيل: ـ وذلك أن رجلاً منهم قتل ابن عم له على مال ورمى بجثته عند قوم آخرين، فأشكل الأمر بينهم وتراشقوا التهم بشأنه ثم رفعوا القضية إلى موسى عليه الصلاة والسلام فأخبرهم أن الله تعالى يأمرهم بأن يذبحوا بقرة وبعد مجادلة ذبحوا البقرة، وأمرهم موسى عليه عليه الصلاة والسلام أن يضربوه ببعضها فعادت إليه روحه وسئل عمن قتله فدلهم عليه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

٢ـ بعد أن خرب بختنصر بيت المقدس مرّ عزير بالمدينة فتعجب وتساءل كيف يمكن أن تعود إليها الحياة بعدما نزل بها هذا الخراب فأماته الله تعالى مائة عام ثم أعاد إليه روحه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[2].

---

(١) البقرة آية ٧٢ـ ٧٣.

(٢) البقرة آية ٢٥٩.

٣ـ الألوف من بني إسرائيل الذين خرجوا من بلدتهم خوف الموت، إما بسبب حرب أو بسبب مرض نزل بها فأماتهم الله تعالى ثم أعاد إليهم أرواحهم في هذه الحياة: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[1].

٤ـ عيسى عليه الصلاة والسلام كان من معجزاته إحياء الموتى في هذه الحياة: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[2] ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3].

٥ـ وفي الحيوان: ـ حمار عزير الذي كان يركبه أثناء مروره كما ذكرنا آنفاً ببيت المقدس فأماته الله تعالى مع عزير ثم أحياه الله تعالى معه: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[4].

٦ـ طيور إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذلك أنه حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى، أمره بأخذ أربعة من الطير وذبحها وخلطها ثم توزيعها على جبال ثم أمره بدعوتها إليه، فعادت إليها أرواحها وطارت إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[5].

٧ـ جذعة جابر رضي الله عنه، وذلك أنه يوم الخندق ذبح شاة صغيرة ودعا النبي ﷺ وبعضاً من أصحابه لتناول الغداء عنده، فدعا النبي ﷺ جميع العاملين في

---

(١) البقرة آية ٢٤٣.
(٢) المائدة آية ١١٠.
(٣) آل عمران آية ٤٩.
(٤) البقرة آية ٢٥٩.
(٥) البقرة آية ٢٦٠.

الخندق وكانوا ألفاً وأربعمائة إنسان، فأكلوا من تلك الجذعة ثم جمع النبي ﷺ العظام ودعا الله تعالى فعادت إليها روحها[1].

الأسلوب الثاني: ـ الاستدلال بالنشأة الأولى: ـ

فالنشأة الأولى متحققة محسوسة تدل قطعاً على إمكان النشأة الثانية بعد الموت وهي غيبية، فالذي قدر على النشأة الأولى بالإيجاد من العدم قادر على النشأة الثانية برد الأرواح وبناء الأجساد مرة أخرى، وقد جاء أمية بن خلف إلى النبي ﷺ بعظم بال وفته ثم نفخه وقال: هل يستطيع ربك يا محمد أن يعيد هذا العظم بعدما أرم؟ فقال ﷺ: «يعيدها الله ويدخلك النار»[2]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[3]، وفي القرآن إشارات عديدة إلى الاستدلال بالبدء على إمكان الإعادة، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾[4]، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[5]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[6]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[7]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[8].

---

(١) أوردها ابن كثير في البداية والنهاية ح ٦ ص ١٠٩ في معجزات النبي ﷺ الأرضية الحسية. ووصفها بالغرابة.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في معجمه، والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة عن ابن عباس، وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس أن الذي فعل ذلك هو أبو جهل. انظر فتح القدير للشوكاني ح ٤ ص ٣٨٤. وقيل هو عبد الله بن أبي بن سلول. وضعفه ابن كثير لأن الآية مكية وابن سلول في المدينة. انظر تفسير ابن كثير ح ٣ ص ٥٨١.

(٣) يس آية ٧٨ـ ٧٩.

(٤) الروم آية ٢٧.

(٥) النجم آية ٤٧.

(٦) البروج آية ١٣.

(٧) الأنبياء آية ١٠٤.

(٨) الأعراف آية ٢٩.

الأسلوب الثالث: ـ الاستدلال بالنوم واليقظة: ـ

الاستدلال بالنوم واليقظة على الموت ثم الحياة بعده، وذلك أن النوم يشبه الموت من جهة تعطل سيطرة القوى الفاعلة في البدن عليه، وعودة هذه السيطرة بعد اليقظة، وذاك أشبه ما يكون بالموت والحياة، ولذلك وصف النبي ﷺ النوم بأنه الموتة الصغرى وقال في النوم إنه (أخو الموت)[1] ولهذا فقد كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا استيقظ يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[2]، ولذلك يقول ﷺ مستدلاً بصورة النوم واليقظة على حالة الحياة بعد الموت: «والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون»[3].

الأسلوب الرابع: ـ قياس الأدنى: ـ

والمقصود به قياس حياة الإنسان بعد الموت على ظاهرة النبات[4]، فإن الأرض تكون قاحلة جرداء فإذا نزل عليها الماء تفاعلت جزيئاتها وتحولت تربتها إلى غذاء للنبات، فيظهر النبات بعد نزول المطر ثم يمر في دورته النباتية، من بذرة إلى نبتة إلى ثمار ثم يهيج ويصفر فيموت ويتحلل في الأرض، وإذا نزل المطر ثانية عاد النبات إلى دورته المذكورة مرة أخرى وهكذا دواليك، وهي ظاهرة محسوسة يراها الإنسان في عالم الشهادة، وتتطابق هذه الظاهرة مع الظاهرة البشرية، فإن الإنسان لم يكن ثم وجد ويمر في حالته الجنينية بمراحل متتالية من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ثم تكسى العظام لحماً ثم يولد طفلاً، فيدخل في مرحلته الثانية المشاهدة المرئية، من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة، ثم

---

(١) روى جابر أن رسول الله ﷺ سئل: أينام أهل الجنة. فقال: (النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون) رواه الطبراني في الأوسط والبزار. ورجال البزار رجال الصحيح. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٧٣ كتاب الجنة والنار. رقم الحديث ١٠٢٣.

(٢) رواه البخاري والترمذي وأبو داود. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٦٤١ كتاب الدعاء. باب أدعية الصباح والمساء والنوم، رقم الحديث ٩٣٥٨.

(٣) هو جزء من خطبته ﷺ على الصفا، يدعو قومه بعد نزول قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) الشعراء آية ٢١٤.

(٤) وسمي قياس الأدنى لأن النبات أدنى من الإنسان وأقلّ شأناً منه.

يموت فيدفن في الأرض ويتحلل فيها إلى عناصره الأساسية الأولية، فإذا كان يوم القيامة عاد تركيبه ثانية وأرسلت إليه الروح ليدخل في الحياة الآخرة.

فهناك تطابق بين ظاهرة النبات وظاهرة الإنسان، فكما أن النبات يعود بعد التحلل ليدخل في دورة جديدة بنزول المطر عليه، كذلك فإن الإنسان يعود برجوع الروح إليه يوم القيامة بعد أن تنبت الأجسام عقب نزول مطر من السماء كمني الرجال فينبتون كما ينبت الزرع[1].

وقد جعل القرآن من ظاهرة النبات هذه دليلاً بالمقايسة على عودة الحياة إلى الإنسان بعد الموت لما بينهما من التشابه قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾[3]. ولذلك حين اشترك الإنسان مع النبات في البدء اشترك معه في المآل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾[4].

الأسلوب الخامس: ـ قياس المطابقة: ـ

والمقصود به قياس عودة الكون بعد فنائه على عودة الحياة للإنسان بعد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٧٤٦ كتاب القيامة وأحوالها. رقم الحديث ٩٩٧١.

(٢) فصلت آية ٣٩.

(٣) الحج آية ٥ـ ٧.

(٤) نوح آية ١٧ـ ١٨.

موته، وذلك أن الكون لم يكن ثم وجد ثم ينتهي بقيام الساعة ثم يعود بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[1]، ويقول علماء الفلك: إن أصل الكون سديم أي غبار ذرّي منتشر وبانفجار كوني هائل[2] رافقته تيارات هوائية شديدة انصهرت الذرات السديمية وجعلت بفعل تلك التيارات تدور حول نفسها فنشأت الأجرام الفلكية من نجوم وكواكب وتستمر في دورتها الفلكية وتفاعلاتها بواسطة الحرارة المنبعثة من النجوم التي هي كتل فلكية ملتهبة، حتى إذا ما انخفضت حرارتها بَطَلَ نظامها وتطايرت في الفضاء بلا ضوابط وتصادمت بعضها في بعض، ونشأ عن ذلك انفجارات كونية هائلة تعيد هذه الأجرام الفلكية إلى حالتها السديمية ثم تعود بانفجار كوني جديد نجوماً وكواكب كما كانت وهكذا، في تصور علماء الفلك[3]، وقد يستدل لهم على ذلك بقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ﴾[4].

والإنسان لم يكن ثم وجد ويمر في مراحله المختلفة في عالم الاجتنان ثم عالم الشهادة فإذا استوفى أجله عاد إلى العدم وتحلل في التراب ثم تعود إليه الروح بعد بناء الجسد مرة أخرى كما قال تعالى ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[5].

ومن هنا ورد في الحديث: «إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته»[6]، فصح أن بين الكون والإنسان تشابهاً ومطابقة كما قال الشاعر: -

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

---

(١) الأنبياء آية ١٠٤.
(٢) ويقدر علماء الفلك أن هذا الإنفجار حصل منذ خمسة آلاف مليار سنة. انظر الإسلام يتحدى ص ٥٦ وص ١٤٥.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الأنبياء آية ٣٠.
(٥) طه آية ٥٥.
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أنس مرفوعاً بسند ضعيف انظر تخريج العراقي بهامش احياء علوم الدين للغزالي ح ٤ ص ٨٠.

الأسلوب السادس: ـ قياس الأولى: ـ

مضمون هذا الأسلوب، إثبات قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الإماتة للحساب، من خلال النظر في قدرات الإنسان في هذه الحياة التي تمكنه من القيام بعملية رصد للآخرين، فمن باب أولى أن يكون خالق الإنسان قادراً على ذلك.

وتفصيل ذلك أن نقول: للإنسان ثلاثة أبعاد: النية والقول والفعل.

البعد الأول: ـ النية: ـ أما النية فمحلها القلب، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، ولكنه قد يظهر للآخرين بين الحين والآخر، إذا تعرض الإنسان لحالات معينة، كالنوم والإغماء والجنون والهستيريا والتنويم المغناطيسي واستخدام الخوذة الإلكترونية، فإنه متى فقد العقل سيطرته على الحواس بشيء مما ذكرنا صدر عن الإنسان تصرفات قولية وفعلية غير منضبطة، لأنه يكون للعقل الباطن في هذه الحالة تأثير على هذه الحواس، فينعكس عليها ما كان يعتمل في نفس الإنسان أثناء يقظته من قضايا وتصورات وانفعالات، فيتكلم بها دون شعور أثناء نومه، فإذا سمعه الآخرون عرفوا ما كان يضمره أثناء حالته الطبيعية.

البعد الثاني: ـ القول: ـ فقد أمكن للإنسان أن يقف على ما يقوله الآخرون من خلال أجهزة مخصصة لضبط الصوت وحبس الذبذبات وتوجيهها، كجهاز التسجيل والراديو، وأجهزة التنصت المختلفة، والأقمار الصناعية التي تمكن الإنسان بواسطتها من رصد أقوال الآخرين، للمعرفة والاستفادة والتجسس.

البعد الثالث: ـ الفعل: ـ فقد أمكن للإنسان اختراع أجهزة ترصد حركة فعل الغير وتقف على تحركاته وتصرفاته، للاستفادة منها عند اللزوم للمحاسبة أو للتعريف او للتجسّس، كالكاميرا وكالأقمار الصناعية التي تلتقط الصور الفوتوغرافية وكالتلفاز وكجهاز الفيديو، فقد أمكن للإنسان الوقوف على تصرفات وتحركات وأقوال الغير من خلال هذه الأجهزة.

ولئن كان الإنسان وهو الضعيف قادراً على إيجاد هذه الأجهزة ورصد تلك الأبعاد بواسطتها، حتى أمكنه أن يحصي وقائع الرحلات الجوية على متن الطائرات

من خلال جهاز **الصندوق الأسود** الذي لا يتلف تحت أي ظرف من الظروف، فإذا تعرضت الطائرة لحادث سقوط، أمكن الوقوف على أسبابه من خلال هذا الجهاز، فمن باب أولى أن يكون الله تعالى الذي خلق هذا الإنسان، قادراً على إيجاد جهاز فيه يحصي عليه تلك الأبعاد الثلاثة لجميع وقائع رحلة حياته، ليحاسبه على ذلك يوم القيامة.

وقد أفاد الطب التشريحي الحديث أن في هذا الإنسان مكان تحفظ فيه نسخ مكررة عن جميع المعلومات التي تصل إلى العقل البشري عبر الحواس، ولكن العلم الحديث لم يهتدي بعد إلى تحديد مكان جهاز حفظ هذه المعلومات في الإنسان[1].

ونحن نقول: إن هذا الجهاز الذي تحفظ فيه هذه المعلومات موجود في نهاية العمود الفقري في الإنسان، الذي سماه رسول الله ﷺ «**عجب الذنب**» وهو لا يبلى تحت أي ظرف من الظروف، أشبه ما يكون بالصندوق الأسود في الطائرة[2]، فقد قال ﷺ في صحيح مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب إلاّ عجب الذنب منه خلق، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[3].

وفي القرآن إشارة إلى هذا الصندوق الأسود البشري في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[4]، ففي الآية مجاز مرسل، حيث أطلق الجزء وأراد الكل، فالعمود الفقري يبتدىء بالرأس وما يشتمل عليه من العقل والحواس الخمس، التي توصل إليه المعلومات المحيطة به، ثم تمر بالذاكرة ويرسل منها نسخاً مكررة إلى عجب الذنب الكائن في الطرف الثاني من العمود الفقري عبر الحبل الشوكي، فتحفظ المعلومات فيه إلى يوم القيامةِ حيث يستنسخ منها نسخ هي

---

(١) انظر الطب محراب للإيمان ص ١٧٨.
(٢) وانظر توحيد الخالق. للزنداني ح ٣ ص ٧٦.
(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر كشف ح ٢ ص ١٧٦. رقم الحديث ١٩٧٠.
(٤) الإسراء آية ١٣- ١٤.

طبق الأصل لتلك التي في الدماغ، وتُنْشَرُ بين يدي صاحبها ليقرأها بنفسه: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[2].

ولئن كان هذا الرصد للأبعاد الثلاثة في قدرة الإنسان ـ كما قلنا ـ، فمن باب أولى أن يكون خالق هذا الإنسان قادراً على رصد جميع وقائع حياته، ليحاسبه عليها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[3].

(١) الجاثية آية ٢٩.
(٢) الكهف آية ٤٩.
(٣) آل عمران آية ٣٠.

obeikandl.com